

« مختصر خليل » في الفقه المالكي: ديوان المذهب، وعمدة المتأخرين، وأعجوبة الإيجاز الفقهي

✨ مدخل: ديوان المذهب وسنام الفقه المالكي

إذا ذكر الفقه المالكي في عصوره المتأخرة، تبادر إلى الأذهان فوراً كتابٌ فريد
شكّل عصب المدرسة المالكية لقرون متطاولة، ونال من العناية والتحرير ما لم
ينله سوى قلة نادرة من متون الفقه الإسلامي؛ إنه «مختصر الشيخ
خليل» للعلامة ضياء الدين خليل بن إسحاق الجندي (ت: ٧٧٦ هـ).

لم يكن هذا الكتاب مجرد تلخيص لمسائل الفقه، بل كان صياغة هندسية
بالغة الدقة استوعبت أمهات كتب المذهب، وضبطت أقوال أئمتّه، حتى قيل
بحق: «عُظِّلَتْ به كتب المذهب»؛ لا استغناء عنها، بل لأن طالب العلم وجد
في ألفاظه المكثفة خلاصة ما سطره المتقدمون والمتأخرون.

🏠 أولاً: بطاقة تعريفية بالكتاب والمؤلف

التفاصيل العلمية	بطاقة الكتاب
المختصر في الفقه (المشهور بمختصر خليل)	اسم الكتاب
ضياء الدين أبو المودة خليل بن إسحاق بن موسى الجندي المصري	المؤلف
مالكي	المذهب
776 هـ (وقيل ٧٦٩ هـ)	تاريخ الوفاة
فروع الفقه المالكي من كتاب الطهارة إلى الفرائض والعق	موضوع الكتاب

👤 ثانياً: صاحب المتن.. من هو الشيخ خليل؟

هو خليل بن إسحاق بن موسى الجندي، الملقب بـ «ضياء الدين»، أحد أساطين الفقه المالكي بمصر في القرن الثامن الهجري:

- **نشأته وزهده:** عُرف بـ *الجندي* لأن والده كان يعمل في سلك الجندية، لكن خليل أثر طريق العلم والزهد والورع، واشتهر بالصلاح والعبادة ولبس الصوف الخشن والتواضع التام.
 - **مكانته العلمية:** تصدر للتدريس في المدرسة *الشيخونية* بالقاهرة، وتلقى العلم عن كبار شيوخ عصره، وكان أبرزهم الإمام **عبد الله المنوفي** الذي لازمه وتأثر به في التدقيق والتحقيق.
 - **إخلاصه في التأليف:** يُروى أنه ألّف مختصره في خلوة بنية خالصة لوجه الله، متجرداً من حظوظ النفس والشهرة، فكتب الله لمتنه القبول والخلود في سائر أقطار العالم الإسلامي.
-

🎯 ثالثاً: السياق التاريخي والغاية من التأليف

جاء تأليف المختصر في مرحلة كانت كتب الفقه المالكي قد كثرت وتفرعت، وتشعبت فيها الروايات والأقوال بين:

١. **المدونة الكبرى** للإمام سحنون عن الإمام ابن القاسم.
٢. **الأمهات الفقهية القديمة:** كالواضحة لابن حبيب، والمستخرجة (العتبية)، والموازية لابن المواز.
٣. **تحريرات المتأخرين:** كابن رشد الحفيد، والقرافي، وابن عبد السلام، وابن الحاجب.

فقام الشيخ خليل باختصار كتاب «جامع الأمهات» لابن الحاجب، مستنداً إلى تصحيحات وتحريرات الإمامين ابن عبد السلام التونسي وابن عرفة، مستخلصاً

القول المعتمد والراجح في المذهب في قالب لغوي محكم لا يحتمل زيادة كلمة واحدة.

رابعاً: المنهج الفقهي والهندسة الاصطلاحية في المختصر

تميّز المختصر بمنهجية محكمة تقوم على قواعد واصطلاحات رمزية دقيقة وضعها الشيخ في خطبة كتابه، وضبط بها المسائل والروايات والخلافات:

✚ معجم مصطلحات الشيخ خليل:

1. ◆ مصطلحات ترجيح الأقوال واختيار المعتمد:

- «المعتمد» / «الراجح» / «الأظهر» ← «لبيان القول الأقوى المعمول به في الفتوى.
- «صُحِّح» أو «رُجِّح» ← «إشارة إلى ترجيحات وتصحيحات فقهاء المذهب المتأخرين.
- «واستُحْسِنَ» ← «إشارة إلى اختيار المتقدمين بطريق الاستحسان مقابل القياس.

2. ◆ مصطلحات حكاية الخلاف المذهبي بأدوات الربط:

- «لَوْ» ← «للإشارة إلى وجود خلاف مذهبي قوي ومعتبر.
- «إِنْ» ← «للإشارة إلى وجود خلاف ضعيف أو شاذ في المسألة.
- «أَوْ» ← «للتخيير، أو للدلالة على وجود خلاف متكافئ في القوة بين قولين.
- «وقيل» / «وَحُوِّلَتْ» ← «إشارة لقول ضعيف أو مخرّج على غير مشهور المذهب.

3. ◆ مصطلحات عزو المسائل إلى المصادر المعتمدة:

- «وفيها»  «إشارة صريحة إلى المدونة الكبرى» أم كتب المذهب.
 - «وَرُويَ»  «إشارة إلى رواية مروية خارج المدونة في غيرها من الأمهات.
 - «بلفظ كذا»  «للدلالة على نقل عبارة الشيخ أو الإمام بنصها دون تصرف بالمعنى.
-  **قيل عن هذا المتن:** إن ألفاظ خليل كالمعادلات الهندسية؛ من فاته مفتاح اصطلاحاته ضلّ في فهم مقاصده، ومن أتقنه ملك زمام المذهب المالكي كله.»
-

خامساً: المكانة العلمية والانتشار الجغرافي

تبوأ المختصر مكانة الصدارة المطلقة في جغرافيا العالم الإسلامي التي تدين بالمذهب المالكي:

- **MR في بلاد شنقيط (موريتانيا) وغرب إفريقيا:**
يُعد حفظ وضبط المختصر شرطاً أساسياً للتخرج في «المحاضر الشنقيطية»؛ ويُنشد فيه العلماء المنظومات، ولا يُسمّى العالم مجازاً حتى يتقن خليل لفظاً ودلالة وتفيراً.
 - **MA في بلاد المغرب والجزائر وتونس:**
صار المقرر الدراسي الأساسي والنهائي في جامع القرويين بفاس، وجامع الزيتونة بتونس، ومدارس تلمسان وتوات وسوس.
 - **EG في مصر والسودان والخليج العربي:**
ظل يُدرّس في الأزهر الشريف لقرون كأعلى متون الرواق المالكي، واعتمد في القضاء والفتوى الرسمية في الحجاز والأحساء وديي والبحرين.
-

سادساً: الشجرة التراثية حول المختصر (الشروح والحواشي)

حفلت المكتبة الإسلامية بكنوز من الشروح والتقارير التي كشفت أسرار المختصر، ومن أعظمها:

1 الشروح الكبرى الموسعة:

- « مواهب الجليل لشرح مختصر خليل » للإمام أبي عبد الله الخطاب الرعيني (ت: ٩٥٤ هـ): أعظم شروحه وأدقها؛ حيث يحرر المسألة بنصوص المتقدمين، وهو مرجع الفقهاء الأول.
- « شرح الخرشي على مختصر خليل » للشيخ محمد بن عبد الله الخرشي (أول إمام للأزهر) (ت: ١١٠١ هـ): أكثر الشروح تداولاً لسهولة عبارته ووضوح مسأله.
- « شرح الزرقاني على مختصر خليل » للشيخ عبد الباقي الزرقاني (ت: ١٠٩٩ هـ): شرح معتمد اعتنى بالدقائق اللغوية والإعرابية والفقهية.

2 الشروح التدريسية المعتمدة للفتوى:

- « الشرح الكبير » و « الشرح الصغير » للإمام أحمد الدردير (ت: ١٢٠١ هـ): عمدة المتأخرين في الفتوى والتدريس وتحرير المعتمد.
- « منح الجليل على مختصر خليل » للشيخ محمد بن أحمد عlish (ت: ١٢٩٩ هـ): موسوعة فقهية متأخرة تجمع دقائق المذهب وتحريرات المغاربة والمصريين.

3 الحواشي والتقارير العميقة:

- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير (الإمام محمد بن عرفة الدسوقي).
- حاشية الصاوي المسماة «بلغة السالك لأقرب المسالك» (للشيخ أحمد الصاوي).
- حاشية البناني (الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني) للعلامة محمد بن الحسن البناني.

نظراً لكثافة متن خليل وصعوبته على المبتدئين، وضع علماء المذهب سلماً دراسياً تدرجياً لا يتجاوز:

١.  المرحلة التمهيديّة (للمبتدئين): دراسة متون العبادات الموجزة
مثل: متن الأخضري، العشماوية، المرشد المعين لابن عاشر.
٢.  المرحلة المتوسطة: دراسة المتون الجامعة بين العبادات
والمعاملات مع إيضاح أدلتها مثل: رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أسهل المسالك.
٣.  المرحلة المتقدمة: ضبط أبواب الفقه بأقوال المتأخرين
مثل: أقرب المسالك للإمام الدردير، جامع الأمهات لابن الحاجب.
٤.  مرحلة المنتهى والرسوخ الفقهي: دراسة «مختصر خليل» بشروحه
الكبرى كالحطاب والدردير مع تتبع الحواشي والتدليلات.

✨ خاتمة: سر البقاء والخلود

إن استمرار كتاب «مختصر خليل» «حياً، متداولاً، محفوظاً في الصدور ومقروءاً في الحلقات والمحاضر العلمية لأكثر من ستة قرون، ليس صدفة، بل هو ثمرة لاجتماع:

- الإخلاص والورع والنية الصادقة لمؤلفه.
- الاستيعاب والتحرير لمذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله.
- الإعجاز في الإيجاز الذي جمع شتات آلاف الفروع والمسائل في كتاب واحد صغير الحجم عظيم النفع.
- سيظل «مختصر خليل» ديوان الفقه المالكي الخالد، والميزان الذي يُقاس به ضبط العالم ورسوخه في فهم الشريعة واستنباط الأحكام.